



ISSN: 2957-3874 (Print)

Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)

<https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95>

مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي



اللُّونُ فِي شِعْرِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْبُرْعِيِّ (ت: ٨٠٣هـ)

م.م. إبراهيم سمير موسى

كلية الامام الأعظم الجامعة

Color in the Poetry of 'Abd al-Rahīm al-Bur'ay (d. 803 AH)
Assistant Lecturer Ibrahim Samir Musa / Al-Imam Al-A'zam
University

ibrahim1092.ib@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث حضور اللون في شعر عبد الرحيم البرعي (ت: ٨٠٣هـ) شاعر المدائح النبوية، بوصفه أداةً جمالية ودلالية تؤثر في بنية النص ومعانيه. ويهدف إلى الكشف عن الألوان التي وظفها الشاعر في ديوانه كله، تصريحًا أو تلميحًا؛ فالمقصود بالتصريح هو ذكر اللون باسمه المعروف، أما غير التصريح فهو ما دلّ على اللون من خلال المعنى أو الكناية أو الإيحاء، كما يسعى البحث إلى تتبع الدلالات التي خرج إليها كل لون، وتحليل الأثر النفسي والخيالي الذي يتركه في المتلقي، مع بيان علاقته بالمقام الديني والروحي في شعر المدح النبوي. ومن خلال الدراسة يتضح أنّ اللون لدى البرعي ليس مجرد زخرف بياني، بل هو وسيلة فنية تكشف عن رؤية الشاعر للعالم، وتعمق البنية الوجدانية والجمالية للنص. الكلمات المفتاحية: اللون، الشعر الصوفي، المدح النبوي، الدلالة، عبد الرحيم البرعي

Abstract

This study examines the use of color in the poetry of 'Abd al-Rahīm al-Bur'ay (d. 803 AH), a prominent poet of Prophetic praise, viewing color as both an aesthetic and semantic device shaping the structure and meaning of the text. The research identifies the colors employed throughout his poetry, whether explicitly—by naming the color directly—or implicitly, through suggestive wording, metaphor, or symbolic allusion. It further explores the meanings associated with each color and the psychological and imaginative impact it produces on the reader or listener, while highlighting its relationship to the spiritual and devotional context of Prophetic praise poetry. The findings indicate that color, in al-Bur'ay's work, is not merely ornamental; rather, it functions as an artistic tool that reveals the poet's worldview and deepens the emotional and aesthetic layers of the poem. Keywords: color, Sufi poetry, Prophetic praise, symbolism, 'Abd al-Rahīm al-Bur'ay..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإنّ لُلوُنًا كبيرًا في الشّعر العربي، فهو إحدى الوسائل التعبيرية عمّا تجيش به الصّدر، وهو وسيلة مهمّة لرسم الصورة الفنّيّة. وقد قامت دراسات كثيرة حول اللون وأبرزها دراسة الدكتور أحمد مختار عمر اللغة واللون التي ما زالت أهمّ مصادر الدراسات التطبيقية للون. واخترتُ لبحثي هذا شاعرًا لم يُكتب عنه الكثير، وهو عبد الرحيم بن أحمد بن عليّ، اليمانيّ البرعيّ (ت: ٨٠٣هـ)، وسمّيتُ بحثي: (اللون في شعر عبد الرحيم البرعيّ (ت: ٨٠٣هـ))، وقد سبقني إلى الكتابة عن البرعيّ الاستاذ الدكتور حيدر حسين عبيد كتابًا سمّاه: (فنون بلاغيّة في المدائح النبويّة للشّيخ عبد الرحيم البرعيّ (ت: ٨٠٣هـ) - ٤٠٠م)، وهو كتاب مطبوع ببغداد سنة ٢٠١٧م. واقتضت طبيعة البحث أن أقسمه على تمهيد، وستة مباحث وخاتمة، احتوى التمهيد على تعريف باللون والشاعر البرعيّ، بيّنتُ فيه بإيجاز أثر اللون في الشّعر العربي، أمّا المباحث فكانت ستة، هي: المبحث الأوّل: اللون الأبيض. المبحث الثّاني: اللون الأسود. المبحث الثالث: اللون الأخضر. المبحث الرّابع: اللون الأحمر. المبحث الخامس:

اللون الأصفر. المبحث السادس: اللون الأزرق. ولقد حرصت في بحثي هذا على محاولة استقصاء الألوان الواردة في شعر البرعي واستخرجت الأبيات التي تضمنت ألواناً سواء كانت صريحة أم غير صريحة، وحاولت بيان كيفية توظيف البرعي لها، وبيّنت المعاني التي دلّ عليها كل لون. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه أجمعين.

تمهيد

تعريف باللون والشاعر البرعي

أولاً: أهميّة اللون في الشعر: ترتبط الألوان بالحياة، فهي التي تُميّز صور الأشياء، والألوان عالم ثريّ بعيد الغور، وهو قاسمٌ مُشتركٌ بين مُجمل العلوم والفنون، إنّه مظهرٌ يشيع في كلّ النشاطات الإنسانية، ويُعبّر عمّا يستكنّ في الذات البشرية من مشاعر وأحاسيس، واللون من المدركات الحسيّة التي لا تُخطئها الأبصارُ إذ أوجد الله البشريّة على الأرض^(١). وليس اللون بخافٍ على المبصر، " وهو سرٌّ عميق له ظهور بارز من الناحية الجمالية بانث للعين التي ترى القبح والحسن وتميّر بينها، فالصلة بين عالم الأبصار وعالم الشعور صلة وثيقة، وارتباط قويّ يجمع بين الحسّ والذوق، وبين الإمتاع والاستحسان، فتكون استجابة العين بالحسّ أو القبح انعكاساً لانفعالٍ حسيّ بالقبول، أو الرفض، والرغبة وعدمها، ومن هنا يأتي أيضاً التفضيل بين الألوان بعضها على بعض، فليست الألوان أصبغاً تُرى وينتهي أثرها بمجرد غصّ الطرف عنها، بل الألوان تحمل من المعاني والدلالات الجماليّة الشيء الكثير، والكبير الذي يدومُ أثره ويخلد^(٢). وقد وضع علماء الغرب الألوان الأساسية وهي عندهم: أبيض، أسود، أحمر، أخضر، أصفر، أزرق، بُنيّ، أرجواني، ورديّ، برتقاليّ، رماديّ^(٣). قال ظاهر الزواهرة: " واللون يكاد يخلق لغةً خاصّةً في النص الشعري لها مدلولاتها، وقد شكل مرتكزاً في القصيدة العربية القديمة، ولعب دوراً مهمّاً في فضاء الصورة والاستعارة والكناية، إذ يكون النصّ الشعري قادراً على تسخير مفرداته في خلق فضاء شعريّ يحمل صوراً وألوان موحية، تشكّل عماد الصورة، وأداة فنية تقوم عليها القصيدة، وهو ما يشكّل لغة جديدة تحتضن الإيحاء^(٤)، ولهذا الإيحاء تأثيرٌ صريح ومباشر " فكلّ شخص يتأثر نفسياً بالألوان دون أن يشعر، وقد اكتشف العلماء حقائق كثيرة عن ردّ الفعل الذي تُحدثه الألوان في نفوسنا، وأنّ الناس يختلف تأثرهم بالألوان وهم لا يشعرون^(٥) "و" عند الجمع بين الألوان في صورة واحدة أو منظر واحد منه ما ترتاح العين له، وتنبسط وتتسع، ومنه ما تضيق به النفس، ومنه ما يبلغ بها الضيق أن تتقرز منه، إذ لا بد لهذا التقرز من سبب، ولهذه الراحة والانبساط كذلك. إنّ الشيء المركب الذي انسجمت أجزاؤه التي تألف منها هو الذي يُفرح، وغير ذلك هو المسيء المقبض، لذلك فإنّ الانسجام أساس من أسس الجمال، وكذا الألوان قد تجتمع على جمال وقد تجتمع على قبح ومن الألوان المنسجم، ومن الألوان المتنافر^(٦). ثانياً: تعريف بعبدالرحيم البرعي: هو عبدالرحيم بن أحمد بن عليّ، اليمانيّ، البرعيّ، نسبةً إلى (بُرْع) وهو جبلٌ بهتامة، لم تُعرف سنة ولادته على وجه الدقّة، أمّا وفاته فالصحيح أنّه توفي سنة ٨٠٣ هـ^(٧)، وإن قال بعضهم غير ذلك. اشتهر بلقب (العارف بالله)، مُعظم شعره في المديح النبويّ، ومدح الآل والأصحاب ﷺ وهناك مدائح لعلماء وصالحين ممّن عاصروهم وممن لم يعاصروهم، قال عنه محمّد زبارة: " الشّيخ العالمُ الشّاعر البليغ الشهير... سكن وطنه النّيباتين، وأخذ في النّحو والفقه على جماعه من علماء عصره حتّى تأهل للتدريس، وأنته الطلبة من أماكن شتى، قدّرس وأفتى، واشتهر بالعلم والشعر، وهو من العلماء الأخبّار المُجتهدين والشعراء والبلغاء المُجيدّين، وله ممداح كثيرة في النّبويّ ﷺ، وديوان شعره مشهور^(٨) "وقد نقل الأستاذ الدكتور حسين عبيد الأقوال في وفاته، ومنها أنّ نواف الجراح في مقدّمة تحقيقه لديوان البرعيّ ذكر أنّ الأستاذ أحمد خيرى بك في كتابه (إزالة الشبهات)^(٩) قد ذكر أنّ البرعيّ من علماء القرن الخامس الهجريّ ورجّح ذلك^(١٠)، وأضاف الدكتور أنّ الجراح مال إلى هذا القول بلا تدقيق^(١١)، كما ذكر أنّه لم يعثر على كتاب (إزالة الشبهات) ليتبيّن له الأدلّة التي بنى قوله هذا عليها، وأضاف قائلاً: " والظاهر أنّه نقله عن البغدادي الذي كان قد قال في ترجمة البرعي: " هو من رجال القرن الخامس^(١٢) "ونقل عن خيرى بك ونواف الجراح -بلا تدقيق أيضاً- الشّيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي في نسخة الديوان التي اعتنى بها^(١٣). ثم قال الدكتور حسين عبيد: " وأنا أخالف الأستاذ أحمد في رأيه ذلك؛ لأنّ البرعيّ مدّح علماء وصالحين، وبعد البحث في كتب التراجم تبين أنّهم من علماء القرن الثامن الهجريّ^(١٤)، ثمّ نقل تفصيل ذلك وذلك بسرد أسماء الشخصيات الوارد مدحها وذكورها في الديوان، ورجّع إلى مصادر تاريخية توثق سنوات وفياتهم^(١٥)، وبهذا فقد جاء استنتاجه قطعي لا يقبل النقاش، وهو أمر لم ينتبه إليه من سبقه.

المبحث الأوّل: اللون الأبيض

اللون الأبيض هو أساس الألوان، وله أهميّة خاصة عند العرب، وهي أهميّة تجعله يكاد يفوق سائر الألوان^(١٦). وهذا اللون حاضرٌ في شعر العرب ونثرهم، فهو بلا ريب " الأكثر استخداماً؛ لأنّه يقتزن لديهم بالصفاء والاشراق، ويبعث في نفوسهم الفأل والاستبشار بالطمأنينة، فأرؤه على حافة الأرض عندما تتبّت، وضحكة الطلعة، وفي مداعبة النور للشمس، وتبسم السحاب بالبرق ولهذا كان اللون الأبيض أسخى الألوان إيحاءً^(١٧). وهو

دالٌّ على التجرُّد من الزَّيْفِ والتخلُّص من دنيا الألوان؛ لأنه لون الملائكة، والقديسين، ولونُ ثيابِ المؤمنين في الجنَّة، " وهو يمثل (نعم) في مقابل (لا) الموجودة في الأسود، إنَّه الصفحةُ البيضاء التي ستكتب عليها القصة، إنَّه أحد الطرفين المتقابلين، إنَّه يمثل البداية في مقابل النِّهاية، والألف في مقابل الياء " (١٨). وللبياض تقاليد رمزية عالية التداول في صنع الدلالة وترميزها في أفق الاستخدام، فهو رمز الطهارة والنور والغبطة والفرح المعنوي والسميائي، وهو في السياق الدلالي العام والنصر والسلام (١٩)، كما أنه وفي السياق ذاته والرؤية ذاتها رمز للصفاء، ونقاء السريرة، والهدوء والأمل، وحبِّ الخير والبساطة في الحياة وعدم التقيّد والتكلف (٢٠). وفي العصور القديمة كان اللونُ الأبيض مقدسًا ومقصورًا على آلهة الرومان، وكان يضحى له بحيوانات بيضاء، وعند المسيحيين عادة ما يرمز للمسيح بثوب أبيض دليلًا على الصفاء والنقاء والخلو من الدنس، وفي مصر القديمة كان الفرعون يرتدي تاجًا أبيض ليرمز لسيطرته على مصر العليا، ممَّا يشير إلى أنَّها كانت تعيش بسلام وطمأنينة (٢١).

ومن توظيف البرعيِّ للونِ الأبيضِ صريحًا قوله في مدح سيِّدنا رسول الله ﷺ ومدح اصحابه: (من البسيط)

بيضُ المفارقِ والهيجاءِ مظلمةٌ كأنهم في ظهور الخيل نبتُ ربا (22)

فإنَّ قوله (بيضُ المفارق) تعبيرٌ تداوله الشعراءُ قديمًا، وله مدلولات كثيرة ذكر منها المرزوقي (٢٢):

١- المراد منه نقاء العرض وانتفاء الذم والعييب، وهذا من أبوز مدلة لاللون الأبيض، وهو يدل على الصفاء والاشراق، ونقاء الذوات، ويبعث في نفوس من يراها الفأل والاستبشار بالطمأنينة.

٢- ويجوز أن يكون أراد (ابيضت مفارقهم) من كثرة ما يُقاسون الشدائد، وهذا كما يقال أمرٌ يشيب الذوائب، وهذا أيضًا ينطوي على مدحهم بعلوِّ الهمة والصِّبر.

٣- ويجوز أن يكون المراد: ابيضت مفارقنا لانحسار الشعر عنها، باعتبارنا لبس المغافر والبيض، وإدماننا إياه، ومعنى ذلك شجاعته وإقدامهم.

٤- ويجوز أن يكون المراد: ابيضت مفارقهم من كثرة استعمالهم للطيب.

وهي كلُّها معانٍ تدور في غايه المدح والتثناء، والشجاعة والنقاء. ومنه قوله في قصيدة على لسان المقرئ محمد صاحب الخير يذكر جهاد كلِّ واحدٍ من آل البيت ﷺ: (من الطويل)

وسربالُهُ في الرَّوعِ درعٌ دريئةٌ وأبيضُ من ماء الحديد مشطَّبُ (24)

والأبيضُ من أسماء السِّيفِ (٢٥)، والتقدير: وأبيض كائن من ماء الحديد (٢٦)، ومعناه أنَّه سيفٌ مصقولٌ طُبع من خالص الحديد (٢٧)؛ ولذلك سمي (أبيض)، فالبياضُ دلالةٌ صقله. إنَّ اهتمام العرب وعنايتهم بالسيف دليلُ الشجاعة النابعة من الحرص على مقارعة الأبطال، ويُمكن أن يكون وراء هذا الوصف وصف مخفي للرمز بأنَّ سيوفهم نقيَّة من الظلم، وهي لا تقاتل إلا من يستحق القتال. ومثله قوله في مدح سيوف الصحابة ﷺ: (من الوافر)

وبيضُ في سماءِ النقعِ بيضٌ ترى لشموسها فيها طلوعا (28)

وهنا يؤكِّد معنى البياض، فيستخدم لإظهاره فنَّ الجناس النَّامِّ؛ لأنَّ (البياض) الأولى هي (السيف)، و(البياض) الثانية هي صفةٌ للسيف، وقد برز الجناس بتوظيف اللونِ هنا باعتباره مظهرًا من مظاهر التنوع الصوتي في البيت، حيث أضفى عليه رونقًا وحلاوة، وأردفه بتوافق موسيقيٍّ دقيق، من خلال التكرار المؤكِّد للنغم في صورة التشابه الكلي والجزئي الحاصل بالتركيب والألفاظ، وفي إطار تحقيق مبدأ التناظر والتماثل (٢٩)، كما يعدُّ منبهاً أسلوبياً يرتكز على القيم الصوتية الخالصة التي تفرز إيقاعات معينة ذات تناسب صوتي أو دلالي (٣٠)، يجعلنا نشعرُ أنَّ اللون الأبيض صبغ هذه اللوحة الشعريَّة كُلِّها، وتكرار موسيقى (البياض) فيه رسم صورة حيَّة متحركة لتساعد السيوف البيض ونزولها وشدة فتكها بالأعداء. ومن توظيف هذا اللون قوله في مقدمة غزلية من قصيدة يمدح بها الشيخ محمد بن علي يغنم: (من البسيط)

بيضاء حوريَّة نوريَّة جمعت محاسن الحسن بين الحلي والحل (31)

فقد استعمل البياض صفةً للمرأة، وهي صفة لونيَّة تجمع أمرين:

-أحدهما: الجمال والرِّقة.

-والآخر: الترف؛ لأنَّ المرأة العربية يغلب عليها السُّمرة، فإذا كانت مُترفة مخدومة صارت بشرتها بيضاء. ومن سمات جمال المرأة أن تكون بيضاء، وهو أيضًا دليل على شرفها، فقد كان مما يمدح به الرجل أنه ابن بيضاء، بل إنَّهم كانوا يفخرون بأنَّ سباياهم من النساء البيض (٣٢).

ومثله قول البرعي في مطلع قصيدة في مدح الشيخ الصالح أحمد بن عبدالله بن عمارة وقد جرى بينهما معاتبة كثيرة ومراسلة: (من الطويل)
وهيهات ما كل المنازل رامَةٌ ولا كل بيضاء الجبين عروبٌ⁽³³⁾

قال الجناحي: " يقول الشاعر: نادتني الأماني الكاذبة مراراً بعد رحيل أحبابي فلم أجبها، وأطمعني سلطانُ الهوى أن يطلع لي شمساً تضيء حياتي بعد رحيل أحبتي، فما عوّضني عن منزلهم مغزل، ولا شاقني بعد موطنهم موطن؛ وهيهات أن يعوّضني منهم شيء، فما كلُّ المنازل رامَة، ولا كلُّ جميلة محببة إلى زوجها - وهذا بيت أرسله مثلاً لفقدان ما لا يعوض - وكم من سَمِيٍّ لا يكون مثل سَمِيٍّ في خُلُقِهِ وخُلُقِهِ، وإن كنت تدعوه باسم سميهِ فيجيبك؛ وهذا مثل " (٣٤). والبرعي هنا يثبت وينفي، يثبت أولاً أن بيضاء الجبين هي المرغوبة المحبوبة عند الناظرين والعاشقين، ثم ينفي أن تكون كل بيضاء عروباً، والمرأة العروب: الضحّاعة الطيبة النفس^(٣٥)، وهكذا تكون قاعدة المدح قد استندت إلى أن البيضاء الجبين هي الغاية في الجمال والحسن. ومن الأبييض صريحاً قول البرعي من قصيدة يحمدها الله تعالى ويدعوهُ: (من الطويل)

وبعد حياتي في رضاك توفني على الملة البيضاء والسنة الزهرا⁽³⁶⁾

فإن قوله (الملة البيضاء) في أصله اقتباس من الحديث الشريف، قال سيدنا رسول الله ﷺ: " قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارَهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ " (٣٧)، فالمراد بالبياض هنا وضوح النهج^(٣٨). وكما أورد البرعي اللون الأبيض صريحاً فقد أورده غير صريح، ومن ذلك قوله يمدح سيدنا الرسول ﷺ: (من الطويل)

بأبلج من قرمي لؤي بن غالب ملاذ غياث مستغاث مؤمل⁽³⁹⁾

قال الخليل: " والأبلج: هو البادي البلجة. ورجلٌ أبلجٌ طليق الوجه بالمعروف، ورجلٌ أبلجٌ أي طلق. وأبلجت الشمس إبلاجا، أنارت وأضاءت. وأبلج الحق فهو مُبلجٌ أبلجٌ " (٤٠)، وصرح أبو عمرو الشيباني أنه البياض، فقال: "الأبلج: الأبيض" (٤١)، وقال أبو علي القالي: " ويقال للرجل الطلق الوجه بالمعروف، أبلجٌ " (٤٢)، في حين قال ابن الإفريقي: " الأبلج: النقي ما بين الحاجبين، وهو من صفات السادة " (٤٣)، ويقصد بالنقي البياض، وقال ابن سيده: " وقيل: الأبلج: الأبيض الحسن الواسع الوجه، يكون في الطول والقصر " (٤٤). فالمراد بالأبلج البياض، وقد روي ذلك من صفة سيدنا رسول الله ﷺ، قيل لسيدنا أبي الطفيل ﷺ - وكان آخر من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم -: " أَرَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟، قَالَ: نَعَمْ، كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ " (٤٥). وبناءً على ما تقدم فإن الشاعر أراد بهذا الوصف (البياض) ما يأتي:

١- وصف الوجه الشريف لسيدنا رسول الله ﷺ.

٢- وصف طلاقة وجهه ﷺ عموماً، وهي من أعظم ما يُمتدح به الناس في الشعر.

٣- وصف طلاقة وجهه ﷺ عند المعروف، وهي صفة تغنى بها الشعراء وهي تدل على طهارة القلب وعلو الهمة وشدة الكرم والسخاء.

٤- وصف وضوح أمره ﷺ، حتى أنه لا يخفى على أحد.

ومن الوصف غير الصريح بالبياض قول البرعي في مدحه ﷺ: (من البسيط)

أغرُ أرسله الرّحمانُ للخلق بالحق يهدي العجم والعربا⁽⁴⁶⁾

قال ابن فارس: " وَغَرَّةٌ كُلُّ شَيْءٍ: أَكْرَمُهُ. وَالْغَرَّةُ: الْبَيَاضُ. وَكُلُّ أْبْيَضٍ أَغْرٌ. وَيُقَالُ لِثَلَاثِ لَيَالٍ مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ غَرَّةٌ " (٤٧)، في حين قال أبو عبيدة: " والأغر المشهور بالعز والشرف " (٤٨)، ويكنى بالغرّة عن التقدير والشهرة^(٤٩)، وعن النفيس من كل شيء^(٥٠).

وهذه هي المعاني التي أرادها البرعي في توظيف الغرّة وتضيف إليها ما يأتي:

- أولاً: ظهور أمره بكونه نبياً عظيماً ﷺ مقدماً على كل نبي.

- ثانياً: كون نوره هادياً لكل ضال.

- ثالثاً: كون أمره واضحاً لا يخفى على أحد.

ومن التعبير عن البياض بأسلوب غير صريح قوله من قصيدة في الوعظ: (من الوافر)

فثمّ بواعث بعثت غرامي وأهوال يشيب لها الوليد⁽⁵¹⁾

فالشَّيب تعبيرٌ عن البياض، وهو بياض الشعر، والبرعي هنا يستدعي نصًّا قرآنيًّا استدعاءً غير صريح، لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾^(٥٢)، وأصل لون الشعر هو السَّواد، والبياض علامة شدة الضعف، وهو هنا ناتج عن شدة الخوف والرعب من أهوال يوم القيامة، فإن الأطفال يشيبون يوم القيامة من شدة الهول، وقد يكون ذلك على وجه الحقيقة، أو هو مجازٌ عبارة عن هؤل ذلك اليوم، وأخذ من الآية أنَّ الهم يُسرِّع الشيب، وهذا مشاهدٌ في كثير من الأشخاص في كل عصر، وقد رأينا مَنْ شاب من هم ساعة، ورأينا حكايات شتى أنهم شابوا من ذلك، فإذا كان هذا في الدنيا المنقرضة همومها، لا خيرها يدوم ولا شرها يبقى، فما بالك بيوم تذهل فيه كلُّ مرضعةٍ عما أرضعت، ويفر المرء من أخيه!^(٥٣) فالخلاصة أنَّ الأبيض هنا تعبيرٌ عن شدة الخوف المُسبب شدة الضعف والانهايار.

البحث الثاني: اللون الأسود

للون الأسود صفاتٌ كثيرة وتوظيفات متعددة، وهو لكونه نقيض الأبيض فقد استعمل "رمزاً للحزن والألم والموت، وكذلك رمز للخوف من المجهول والميل إلى التكتّم، وكونه سلْبُ اللون فهو يدل على العدمية والفناء"^(٥٤)، ويدلُّ في الوقت ذاته على الحكمة والرزانة؛ ولذلك يتخذ كثير من رجال الدين شعاراً لهم^(٥٥)، وربما كان مردّد ذلك إلى كون الأسود مشتق منه السيادة ومن توظيف اللون الأسود صريحاً قول البرعي يمدح سيدنا الرسول ﷺ: (من الطويل)

أردُّ به كيدَ العدو إذا اعتدى وألقى به سودَ الخطوب فتنجلي⁽⁵⁶⁾

الخطب: سبب الأمر^(٥٧)، ووصف الخطوب بأنها سودّ تصويراً لشدة وطأتها ووقعها على النفوس، ويراد به أيضاً معنى الشدة والاقتراب من اليأس، ومع تلك الشدة المظلمة فإن البرعي حين يتوسل به ﷺ ينجلي كل ذلك. ومثله قوله يمدح الفقيه أحمد بن إسماعيل الزجدي على لسان الشيخ عمر بن نعيم: (من الكامل)

مولاي جئتُك والخطوب وجوهها سودٌ ولولا الفقر لم تك سوداً⁽⁵⁸⁾

والإضافة هنا تختلف عما قبلها بالإبداع التصويري بتوظيف الاستعارة المكنية^(٥٩)، حيث جعل الخطوب كالإنسان، أي: شبهها بالإنسان، فحذف المشبه به وهو الإنسان، ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه فجعل لها وجهاً وهي عند البلاغيين أبلغ من التصريحية؛ لأن حضور المشبه به (المستعار منه) مفترض في كلا الطرفين، ولكن حذفه في المكنية يولد حركة ذهنية مكثفة من أجل اكتشافه، بينما في التصريحية لا يحتاج الذهن دعماً لمعرفة؛ حيث أنه مذكور، وبما إن التأثير يتجر من المشبه به فكما تكثفت الحركة الذهنية حوله كان رد الفعل أدهى لأن يتكاثر^(٦٠) ومنه قوله في مدح سيدنا رسول الله ﷺ: (من البسيط)

لما غدت صحف أوزاري مسودة جعلت مدحك يا مولاي ماحيها⁽⁶¹⁾

قال أبو هلال العسكري: " الصحيفة تكون ورقة واحدة، تقول عندي صحيفة بيضاء فإذا قلت صحف أفدت أنّها مكتوبة، وقال بعضهم يُقال صحائف بيض ولا يُقال صحف بيض، وإمّا يُقال من صحائف إلى صحف ليُفيد أنّها مكتوبة"^(٦٢)، وتسويدها بكثرة الذنوب، وهذا ليس على الحقيقة ولكنه نوع من التواضع والتضرع. ومن توظيف اللون الأسود غير صريح قوله في التضرع إلى الله تعالى: (من الكامل)

يا مَنْ يرى حالَ الغريبِ وكزبه في الليلة الظلما وليس يراه⁽⁶³⁾

فالليلة في أصل خلقتها سوداء مظلمة، ولكن وصفها بكونها ظلماء مبالغة في وصف سوادها، فهي الليلة شديدة الظلام^(٦٤). ومن توظيف اللون الأسود غير صريح قوله يمدح النبي ﷺ: (من الكامل)

أعلمت من ركب البراق عتيما و تلاء جبريل الأمين نديما⁽⁶⁵⁾

والعتمة ظلمة الليل وقت صلاة العشاء، وهو الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشفق^(٦٦)، والمقصود سواد الليل الذي لا يخالطه أي بياض، وهو اقتباس معنوي نت قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٦٧). ومن توظيف اللون الأسود غير الصريح قوله من قصيدة في مدح المشايخ الصالحين: (من البسيط)

عسى بجاه أولاك القوم يغفر لي مهيمن أنا أرجوه وأخشاه

فَلِي صَحَائِفُ بِالْأَوْزَارِ قَدْ مُلِئَتْ وَأَخْجَلْتِي مِنْ كِتَابِي حِينَ أَقْرَأُ⁽⁶⁸⁾

فقوله (صحائف بالأوزار قد ملئت) إشارة إلى سواد الصحائف، والمقصود صحائف الأعمال، فالأصل أنها بيضاء، ولكن لما كانت الذنوب كثيرة سَوَدَتْهَا، فالسواد هنا إشارة إلى كثرة الذنوب، وليس معناه أن ذنوبه كثيرة حقاً، ولكن هذا نوع من التوسل والتذلل وإظهار الفقر والحاجة. ونلاحظ أنه اختار (الوزر) وليس الذنب، وبينهما فرق، قال أبو هلال العسكري: "الفرق بين الوزر والذنب أن الوزر يُفيد أنه يتقل صاحبه وأصله الثقل... وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْوَزْرُ مِنَ الْوَزْرِ وَهُوَ الْمَلْجَأُ، يُفِيدُ أَنَّ صَاحِبَهُ مَلْتَجِيٌّ إِلَى غَيْرِ مَلْجَأٍ وَالْأَوَّلُ أَجُودٌ"^(٦٩)، فاختيار لفظ الوزر المتضمن الذنب مع الثقل أبلغ. وكذا اختيار (الصحائف) جمعاً لا مفرداً، فالإنسان له صحيفة أعمال واحدة، ولكنه لما أراد المبالغة في التضرع جمعها، ثم جعلها سُودًا. ومن توظيف اللون الأسود غير الصريح، قول البرعي على لسان المقرئ محمد بن يحيى الشارفي يعاتب صاحباً لم يزره: (من الخفيف) **إِنَّ دَعَجَ الْعَيُونِ مِنْ غَيْرِ عَيْبٍ أَلْفَتَهُ الضَّنَا قَلِيلاً قَلِيلاً**⁽⁷⁰⁾

الدَّعَجُ: شَدَّةُ سَوَادِ الْعَيْنِ مَعَ سَعَتِهَا. يُقَالُ: عَيْنٌ دَعَجَاءٌ. والادعج من الرجال: الاسود^(٧١)، فجعل السواد من صفات الجمال التي يُتَعَزَّلُ بها. وهناك مواطن كثيرة أخرى^(٧٢) لكنها لا تخرج في توظيفها عن عموم ما ذكرناه من تطبيقات. **الجمع بين الأسود والأبيض، أو أحدهما مع غيره**

قد يجمع الشاعر بين لونين متضادين في بيت واحد؛ وذلك للتدليل على معانٍ يريد عرضها في لوحة واحدة بين يدي المتلقي، والجمع بين هذين المتضادين يسمّى الطباق، وقد يجمع الشاعر بين لونين لا على سبيل التضاد. ومن الجمع بين الأسود والأبيض قول البرعي متشوقاً إلى مكة والمدينة يذكر الحُجَّاجَ ويصف حالهم وحاله: (من الكامل)

لبسوا ثيابَ البيضِ شاراتِ الرِّضا وأنا من اجلهمُ لبستُ سوادِي⁽⁷³⁾

فالحُجَّاجُ يلبسون البياض وهذا أمر تشريعي لا اختياري، ولكن الشاعر جعله من علامات رضا الله سبحانه عنهم، وهناك أسباب أخرى ذكر منها الدكتور حيدر حسين عبيد وذلك بقوله: "لعلَّ منها حُسْنُ الظَّنِّ بالله تعالى بأنَّه رضي عن قُصَادِ بَيْتِهِ وَرُؤَاؤِ حَرَمِهِ، أو تبشير الحُجَّاجِ بتلك المنحة الإلهية؛ ثقةً بكرم الله وتوكلاً عليه، أو لأنَّ الشَّاعر يرى أنَّ كلَّ ما يفعله قُصَادُ بَيْتِ اللَّهِ وَحَبِيبِهِ ﷺ علامةٌ حسنةٌ لقبول مساعيهم؛ لدنوهم من الحبيب"^(٧٤) إنَّ التضادَّ باللونين الأسود والأبيض صريحين يستمد قيمته البلاغية مما يثيره تضادُّ طرفيه من انعكاسات في نفس الأديب، من خلال تداعي الأفكار على أساس علاقة التضاد، ف "العنصر الجمالي في الطباق هو ما فيه من التلاؤم بينه وبين تداعي الأفكار في الأذهان، باعتبار أنَّ المتقابلات أقرب تخاطراً إلى الأذهان من المتشابهات والمتخالفات"^(٧٥)، فالشيء يدل عليه نقيضه أكثر من غيره، ومن مقابلة الضد بضده "يخلق حالة من التوتر نتيجة جعل مفهومين متضادين، أو خلق صورتين أو أكثر متطابقتين في بنية واحدة أو نسق لغوي واحد، والعلاقة التي تربط بينهما أو تقوم بذلك هي التي تحدد جوهر التجربة الشعرية لدى المبدع"^(٧٦)، والإبداع هنا في حُسن توظيف الألوان: الأبيض للرِّضا، والأسود للبعد والحزن. ومنه قول البرعي قال من قصيدة مدح بها محمد بن عمر النهاري: (من الوافر)

لُئِمُ بِقَبْرِ سَيِّدِنَا النَّهَارِي فَتَبِيضُ الْمَطَالِبُ وَهِيَ سُودُ⁽⁷⁷⁾

والبياض هنا يختلف عن البيت السابق، فهو هنا لتحقيق المطالب، فالمطالب المتحققة بيض، بعد أن كانت غير متحققة (سود)، أو كان صاحبها يائساً من تحقيقها. والقدرة على التحويل من النقيض (الأسود)، إلى الأبيض، دليل على تمام المنزلة والتمكن. ومنه قول البرعي في الوعظ والاعتبار: (من المجتث)

والصُّحُفُ تَلْقَى إِلَيْهِمْ مِنْهُنَّ بَيْضٌ وَسُودُ⁽⁷⁸⁾

وهذا الكلام في وصف أحوال النَّاسِ وأقسامهم يوم القيامة، فالصحف البيض صحف الصالحين، والصحف السود صحف المذنبين والكافرين، والسواد كناية عن الذنوب، والبياض كناية عن الأعمال الصالحات، والشاعر بعرض صورتين لونيَّتين متناقضتين يصوِّر لنا الفرق بين الحالين. في حين هناك مواضع جاء فيها باللونين الأسود والأبيض جميعاً غير صريحين، ومنه قوله في مقدمة غزلية من قصيدة في المدح النبوي: (من البسيط)

خَلَفَ الْخَمَارِ جَمَالٌ مِنْكَ خَامِرُهُ حَسَنٌ بَدِيعٌ مَحَانِي فِي مَحْيَاكَ⁽⁷⁹⁾

فقد رسم هنا صورة بألوانٍ غير صريحة في اللفظ، ولكنّ الذهن يتخيلها ما إن يقرأ الألفاظ، فالخمارُ أسود، وما خلف الخمار من جمالها أبيض، ولولا البياض لم يتبيّن عتمة السّود، ووجود السّواد وهو النقيض يُظهر البياض بأحلى حلّة وأظهرها. ومنه الجمع بين الأبيض والأسمر، والسمر لون الأسمر، وهو لونٌ يضرب إلى سواد خفي^(٨٠)، قال البرعي في مدح النبي ﷺ ومدح اصحابه: (من البسيط)

وَمِنْ نَزَارٍ وَفَرَعِي تَغْلِبِ عَرَبٌ أُرْبَابُ بَيْضٍ وَسُمْرٍ تَلْتَضِي لَهَبًا⁽⁸¹⁾

فقد استخدم البرعي هنا أسلوب التورية عن طريق الألوان، والتورية: " أن يذكّر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان، على سبيل الحقيقة، أو على سبيل الحقيقة والمجاز، أحدهما ظاهر قريب يتبادر إلى الذهن وهو غير مراد، والآخر بعيد فيه نوع خفاء وهو المعنى المراد، لكن يُورَى عنه بالمعنى القريب، ليسبق الذهن إليه ويتوهمه قبل التأمل، وبعد التأمل يتنبّه المتلقّي فيُدرِك المعنى الآخر المراد"^(٨٢)، فورى بـ(البياض) وهو لون جمع أبيض عن السيوف وقد ذكرناها فيما تقدم، وورى بـ(السمر) -وهو اللون دون السّواد- عن الرماح^(٨٣)، وهو من أسمائها القديمة المعروفة عند العرب. وهناك مواطن أخرى في توظيف اللون الأبيض غير صريح^(٨٤).

المبحث الثالث: اللون الأخضر

الأخضر من أكثر الألوان استقراراً ووضوحاً في دلالاته؛ فهو لون الخصب والنماء، والتقاؤل بالشباب والحب والأمل، إنّه باختصار رمز للحياة " ويبدو أنه استمد معانيه المحبوبة من ارتباطه بأشياء مبهجة في الطبيعة، كالنبات وبعض الأحجار الكريمة"^(٨٥)، وهذا ما جعله لوناً دافئاً محبباً إلى القلوب، مبهجاً، للنفوس مريحاً للنظر، فهو لون الشرف الإنساني، والفرح والوفرة والاستقرار في الدنيا والآخرة، وهو لونٌ يبعث في النفس الرغبة في الحياة و الاستمرار^(٨٦)، فهو لا يصيب مشاهده بالكآبة والضيق، وإنما يضيف على رائيهِ راحة وجمالاً^(٨٧). واللون الأخضر عند البرعي يأتي في الكثرة بعد اللونين الأسود والأبيض، ومنه قوله في مدح سيدنا رسول الله ﷺ: (من الكامل)

ضربوا الخيام على الكثيب الأخضر ما بين روضة حاجرٍ ومحجرٍ

واخضرَ فردوس الخمائِل إذ غدا وسرى عليه حيا العريض الممطر⁽⁸⁸⁾

نقرأ هذه الأبيات فنجد لوحةً حقاً مريحة للعين، صورة كثيب أخضر ضربوا عليه خيامهم، وأحاطت بهم الأشجار التي تقيّؤوا ظلّالها، وهي خضرٌ أيضاً، وقريبٌ منهم حديقةٌ مخضرةٌ الروابي، تترقق عليها قطرات الندى. وكأنّه يعني أنّهم سعدوا فوق الخصب والنماء والخير، وأحاط بهم الخير والخصب من كلّ جانب. ومنه قوله -رحمه الله- فيه ﷺ: (من البسيط)

حيا الغمام الرّحاب الخضر منسجماً فالقبر الروضة الخضراء حياها⁽⁸⁹⁾

وهو يعني رحاب المسجد النبوي الشريف، ووصفها بالخضر؛ لأنّ كلّ الخيرات هناك، ثمّ عاد ليذكر الروضة الخضراء، وهي المقصورة الشريفة في المسجد النبوي الشريف، فلونها أخضر من جميع الجهات إلا جهة المواجهة الشريفة، وهي من جهة الروضة خضراء وهذا الأمر موجود إلى اليوم. والبرعي بتوظيف اللون الأخضر استحضر موسيقى الجنس، الذي تظهر قيمته من حيث إنه "من أساليب تلاحم الأسلوب وترابطه؛ لما بين طرفيه من المماثلة الشكلية، وله وقع موسيقي ملحوظ يجعل الأسلوب مميزاً وذا أثر قوي"^(٩٠)، ومصدر هذا الموسيقي تكرار الألفاظ بمعاني أحر، وهذا يشعر السامع بطاقات اللفظة الواحدة التي احتملت أكثر من معنى، فضلاً عمّا يؤدي إليه من مخادعة لفظية وإيهام بتكرار اللفظة بمعناها، حتى إذا أدرك السامع حقيقة المعنى وزال عنه الوهم وجد لذة الاستكشاف، والتحول من الخفي إلى الجلي^(٩١)، والجناس في هذا البيت ينتج عنه لفت لانتباه المخاطبين؛ لإدراك العلاقة الجامعة الرابطة بين المعجمية والوجدان، ومن خلال ملاحظة الترابط الصوتي بالدلالة يدرك أهمية هذا الجنس في إثارة الانفعالات اللّونية وشحن الأذهان وإدراك المعاني^(٩٢)، وهو بذلك يجعلنا نعيش الأجواء الداخلية للأخضر الذي يميّز المسجد النبوي الشريف والروضة المطهرة. ومثله قوله في مدحه ﷺ: (من الكامل)

يا مَنْ يَجُودُ عَلَى الْوُجُودِ بِأَنْعَمٍ خُضِرٍ تَعْمُ عَمُومِ صَيْبِ الصَّيْبِ⁽⁹³⁾

فقد وصف الأنعم بأنّها خضر؛ إشارةً لكونها تُحيي الموات من كلّ شيءٍ، ولم يكتف بذلك بل وصفها بأنّها تغطّي كلّ شيءٍ، فتكون عامّة كما يغطي المطر كلّ شيءٍ. وقال في مقدمة غزلية من قصيدة في المدح النبوي: (من البسيط)

والعيش أخضر والأيام مشرقةً و عين ربّ الهوى العذرى ترعاك⁽⁹⁴⁾

فالعيشُ الأخضرُ هو النَّاعِمُ^(٩٥)، بمعنى أنَّه في تمام التَّرفِ. ومثله قوله من قصيدة يحمدها الله تعالى: (من الطويل)
ربوا في ربي روض النعيم وظله فجدد لهم من جودك النعمة الخضرا⁽⁹⁶⁾

وقد يجمع البرعي الأخضر مع غيره في صورةٍ تسر الناظرين، ومنه قوله في السيد الشريف عثمان بن أحمد الأهدل: (من البسيط)
والعيشُ أخضرُ والدنيا مساعداً وقاتلُ الحبِّ والمقتولُ إخوانُ
والشَّيحُ متشحح بالطلِّ مبتهج والوردُ مبتسم والزهرُ ألوانُ⁽⁹⁷⁾

وهكذا ينقلنا البرعي إلى عيشٍ خصبٍ نامٍ، ويُرينا قطرات الطلِّ على الشَّيح وهو نبات أخضر يخالطه أصفر، ثم يُرينا الورد بلونه الوردِي مبتسماً، ولا يكتفي بذلك بل يختم بباقةٍ من الزَّهور لا يُحدد ألوانها بل يترك الخيار لنا لنسبح بأذهاننا في تلك الرياض النضرة، فتشعر بالارتياح من تلك المناظر متعددة الألوان. ومن توظيف البرعي للون الأخضر غير صريح قوله في الابتهاج إلى الله تعالى: (من الكامل)
ودحا بساط الأرض فرشاً مثبَّأ بالراسيات وبالنباتِ خلاه⁽⁹⁸⁾

وخلى النَّبات لا تكون إلا خُضر، فهو هنا يُريد حقيقة الحياة وزهوها.
وهناك مواطن آخر كثيرة للأخضر في شعر البرعي^(٩٩).

البحث الرابع: اللون الأحمر

يُعدُّ اللون الأحمر من أثرى الألوان دلالة وأكثرها تضارباً نتيجةً " لارتباطه بأشياء طبيعية، تثير البهجة والانشراح، أو الألم والانقباض"^(١٠٠)، وهو من أوائل الألوان التي عرفها الإنسان في الطبيعة، فهو من الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس واشتعال النَّار والحرارة الشديدة، وهو من أطول الموجات الضوئية^(١٠١). وقد وظَّف البرعي هذا اللون، ومنه قوله في مدح سيدنا الرسول ﷺ: (من البسيط)
يا مُنتقى مضر الحمراء بأيديها العلياء يا رشدها يا نور غاويها⁽¹⁰²⁾

مُضر وربيعة أخوان، وإنَّما قيل له مضر الحمراء وقيل لأخيه ربيعة الفرس؛ لأنَّهما لما اقتسما الميراث أُعطي مضر الذهب وهو يُؤنث، وأُعطي ربيعة الخيل، ويقال كان شعارهم في الحرب العمائم والرايات الحمرة^(١٠٣)، ومع أنَّ البرعي بتوظيف هذا اللون أراد أنه ﷺ أصيلٌ في نسبه شريفٌ عريق، فإنَّه أراد القوَّة والشَّدة والشجاعة التي يعبر عنها اللون الأحمر. وقد يجمع مع الأحمر غير الصَّريح غيره من الألوان، ومنه قوله في قصيدة على لسان المقري محمد صاحب الخير يذكر جهاد آل البيت ﷺ: (من الطويل)

يخوضون بحرًا دونه البحر من دم وأمواجه بيضٌ وسُمرٌ وشُدبُ⁽¹⁰⁴⁾

فهذه صورةٌ حركيةٌ مفعمة بالنشاط والألوان، فهم يخوضون في بحرٍ من الدماء صار أحمر، تعلوه أمواجٌ بيضٌ هو الرِّبْد، أو يعني أمواج السيوف البيض، معها أمواج الرِّمَّاح السُّمر، وقد تكون هذه الألوان المختلفة تعبيراً عن الأهوال والأخطار المتعددة. ومن توظيف البرعي للون الأحمر غير صريح قوله في الشيخ الصالح أحمد بن عبدالله بن عمارة وقد جرى بينهما معاتبة كثيرة ومراسلة: (من الطويل)
فما كدبتني رمزةً معنويةً أشار بها ربي البنان خضيبُ⁽¹⁰⁵⁾

فقوله (خضيب) وصفاً للبتان، قال ابن دريد: " وخضب الظليم فهو خاضب إذا اخمرت ساقاه وأطراف ريشه من أكل العشب، وكان أبو مالك زعموا يقول: خضب الظليم إذا أكل اليساريع فاحمرت قواده وساقاه. والخضاب من هذا اشتقاقه. والخضبة: المرأة الكثيرة الاختضاب. وكف خضيب ومخضوبة"^(١٠٦)، وقال الجوهري: " وبتان خضيب: مُحضَّب، شُدب للمبالغة"^(١٠٧)، والخضاب من زينة نساء العرب وجمالها، فاللون الأحمر هنا تعبير عن الجمال. ويشق من اللون الأحمر اللون الأزهر، وهو أبيض تخالطه حمرة^(١٠٨)، وهو لونٌ يثير البهجة في النفوس؛ لأنَّ الأزهار تفعل هكذا بالنفوس، ومنه قوله يمدح سيدنا رسول الله ﷺ: (من الكامل)

وأقوم في حرم النبوة منشداً مدحاً كأزهار الربيع منظماً⁽¹⁰⁹⁾

فهو يُشَبِّه مدحهُ بالأزهار، والتشبيه هنا يكون من وجوه عدَّة:
-أولها: جمال المدح بجمال الأزهار.

-وثانيها: تتوع فنون المدح بتنوع الأزهار .

-وثالثها: طيب المدح كطيب رائحة الأزهار .

-ورابعها: كون المدائح زاهيةً للناظرين كما يزهو اللون الزهري فيأخذ بالألباب ويبث البهجة في النفوس والقلوب والأرواح .

المبحث الخامس: اللون الأصفر

اللون الأصفر كان معروفاً منذ القدم، وكثيراً ما كان الشعراء يهجون أعداءهم بوصفهم (صفر الوجه) على اعتبار أنهم مرضى بأمراض خطيرة كالسل^(١١٠)، كما أن " الأصفر من عائلة الألوان الساخنة، ويمثل قمة التوهج والإشراق، وهو من أكثر الألوان إضاءة ونورانية، فهو لون الشمس واهبة الحرارة والحياة والنشاط والغبطة والسرور "^(١١١). واللون الأصفر ورد عند البرعي غير صريح، فقد قال في مطلع غزلي من قصيدة مدح بها بعض الصالحين: (من البسيط)

ذهبيّة القسّماتِ رائعة الصّبا ترنو فيحسدها الغزالُ الأغيذُ⁽¹¹²⁾

قال كراع النمل: " القسّم: الحُسْن؛ يقال منه رجل قسيمٌ وامرأة قسيمّة، ويقال لوجه نفسه القسيمّة والجميع القسّمات، كأنهم يسمونه بذلك إذا كان حسناً؛ يُشتقُّ له اسم من القسّم "^(١١٢)، والبرعي يعني بالذهبيّة لون الذهب وهو الأصفر، قال الجاحظ: " قالوا: لأنّ المرأة الرقيقة اللون يكون بياضها بالغبطة يضرب إلى الحمرة، وبالعشيّ يضرب إلى الصفرة "^(١١٤)، وعلل السيد المرتضى ذلك بأنّ الشمس تغيب صفراء الوجه، فأرادوا المبالغة في الحسن؛ لأنّ الشمس تكون في أحسن أوقاتها فيه^(١١٥)، فالأصفر غير الصريح هنا للمبالغة في الوصف بجمال الوجه.

المبحث السادس: اللون الأزرق

للأزرق دلالات واسعة ومختلفة، وربما يعود ذلك لأسباب منها تفاوت درجاته من الفاتح إلى القاتم، فالقاتم منه يقترب من اللون الأسود؛ لذا فهو يثير النفور والحقد والكراهية، وقد ارتبط بالغل والجنّ والقوى السلبية في الأرض، بينما يرتبط الأزرق الفاتح بالماء والسماء، فهو مناسب للهدوء والبرودة، وبقيت درجات هذا اللون بين هذين الحدين^(١١٦). والأزرق قليل الوجود في شعر البرعي، فقد ورد صريحاً مرة واحدة، قال في الشيخ الصالح أحمد بن عبدالله بن عمارة وقد جرى بينهما معاتبة كثيرة ومراسلة: (من الطويل)

جمته عن التّوديع زُرُقُ أسنّة تكاد تذيب الصّخر وهو صليبُ⁽¹¹⁷⁾

قال ابن سيده: " أراد زُرُقُ أسنّة القنا، فحذف؛ لأنّ التي تُوصف بالزرقة الأسنّة دون القنا ألا ترى أن الرماح تُوصف بالسمرة، وإن شئت جعلت الزرق الأسنّة على إقامة الصفة مقام الموصوف "^(١١٨)، وزُرُقُ الأسنّة هي شديدة القوّة.

الذخنة والقائح

- وظّف عبد الرحيم البرعي مجموعة من الألوان في شعره، هي: اللون الأبيض، واللون الأسود كما وظّف كلاهما في بيت واحد في مجموعة الأبيات، كما وظّف اللون الأخضر، واللون الأحمر، واللون الأصفر، واللون الأزرق، وجاء أكثر الألوان تكراراً وتوظيفاً هي اللون الأبيض والأسود صريحين وغير صريحين، يليهما اللون الأخضر، وكلّ الألوان الستة التي وظّفها جاءت صريحةً بلفظها وغير صريحة، إلا اللون الأصفر فقد جاء غير صريح.

- جاء اللون الأبيض في شعر البرعي دالاً على النقاء من الذنوب، وعلى رضا الله، وعلى الفرج الذي يأتي بعد الشدة، وعلى علو المنزلة وعلى سيوف الشجعان، في حين جاء الأسود لمعاني كثرة الذنوب، والشدائد والضيق والهَمّ والغَمّ، وللغزل بصفات الجمال أو السيادة.

- وظّف البرعي اللون الأخضر للتعبير عن الخير والخصب والنماء ودوام التّعمة وتمامها.

- جاء اللون الأحمر تعبيراً عن الشدة، وعن استفراغ جميع الدمع حتى استحول إلى دمٍ أحمر، وحين امتزج اللون الأحمر بغيره فإنّه جاء لرسم صورة حركيّة مفعمة بالنشاط والألوان، تدل على خوض بحرٍ من الدماء صار أحمر، تعلوه أمواج بيضٍ هو الرّيد، أو أمواج السيوف البيض، معها أمواج الرّماح السُمّر، أو جاءت هذه الألوان المختلفة تعبيراً عن الأحوال والأخطار المتعددة.

- جاء اللون الأصفر في شعر البرعي لوصف النور وللتنعزل في مطالعه الغزلية باعتبار أنّ امتزاجه مع الأبيض وغيره من صفات الجمال للمرأة عند العرب منذ القدم.

- وظّف البرعي اللون الأزرق للقوّة والشّدة.

المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

- ١- أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر أبو فهر، دار المدني، جدة، السعودية، ط ١، ١٤١٢هـ / ١٩٩١ م .
- ٢- الأعلام: خيرالدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، ط ١، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م .
- ٣- الألوان ورمزيتها في الشعر العماني الحديث دراسة وصفية تحليلية، حسن بن إبراهيم بن فاضل العجمي، بحث منشور، IJASOS- المجلة الإلكترونية الدولية للتقدم في العلوم الاجتماعية، المجلد السادس، العدد ١٨، ديسمبر ٢٠٢٠ م .
- ٤- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة المِدَانِي المِثْقِي (ت: ١٤٢٥هـ)، ط ١، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦ م .
- ٥- البلاغة فنونها وأفانها (علم المعاني): فضل حسن عباس (ت: ١٤٣٢هـ)، ط ١٢، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٩ م .
- ٦- البنى الأسلوبية في النصّ الشعري- دراسة تطبيقية - ، د. راشد بن حمد بن هاشل الحسيني - دار الحكمة - لندن - ط ١ - ٢٠٠٤ م .
- ٧- جمالية اللون في الشعر الأندلسي- ابن سهل الأندلسي أنموذجاً- رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهدي أم البواقي، كلية الآداب واللغات وسيلة رحالي، الجزائر، ٢٠١٥/٢٠١٤ م .
- ٨- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي ، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧ م .
- ٩- الجيم، أبو عمرو إسحاق بن مزار الشيباني بالولاء (ت: ٢٠٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- ١٠- خصائص التركيب - دراسة تحليلية لمسائل علم البيان -، أبو موسى محمد حسين، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٨ م .
- ١١- الخيل، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (المتوفى: ٢٠٩هـ)، دار المعرفة، بيروت .
- ١٢- دراسات منهجية في علم البديع، د. الشحات محمد ابو ستيت، (د:ط)، ط ١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م .
- ١٣- ديوان البرعي (ت: ٨٠٣هـ)، تحقيق: نواف الجراح، ط ١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣ م .
- ١٤- ديوان البرعي (ت: ٨٠٣هـ)، عناية: الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦ م .
- ١٥- شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: ٤٢١ هـ)، تحقيق، غريد الشيخ، وضع فهرسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- ١٦- شَرْحُ شِعْرِ المِثْقِي - السفر الأول، إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، من بني سعد بن أبي وقاص، أبو القاسم ابن الإفيلي (المتوفى: ٤٤١هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور مُصطَفَى عَلِيَّان، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- ١٧- شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ)، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت: ٥٠٢هـ)، دار القلم - بيروت .
- ١٨- شرح نقائض جرير والفرزدق، أبو عبيدة معمر بن المثنى (برواية اليزيدي عن السكري عن ابن حبيب عنه)، تحقيق: محمد إبراهيم حور - وليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، الثانية، ١٩٩٨ م .
- ١٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣ هـ - ١٠٠٣ م)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٢٠- الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، أحمد ياسوف، ط ٢، دار المكتبي، دمشق، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦ م .
- ٢١- الطباقي في شعر حكام الأندلس بين الفن والسياسة (بحث منشور)، د. زينة عبد الغني و د. هادي طالب محسن العجيلي، مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة بابل، العدد ١٨، ٢٠١٤ م .
- ٢٢- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) - تحقيق الدكتور: عبد الله درويش - مطبعة العاني - بغداد - ١٩٦٧ م .
- ٢٣- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤١٢ هـ .
- ٢٤- فنون بلاغية في المدائح النبوية لعبدالرحيم البرعي: د. حيدر حسين عبيد، ط ١، دار شمس الأندلس، بغداد، ٢٠١٧ م .
- ٢٥- اللون ودلالاته في الشعر، ظاهر محمد هزاع الزواهره، دار الحامد، ٢٠٠٨ م .

٢٦-المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت: ٤٥٨ هـ - ١٠٦٦ م)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٧-ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ((الملحق التابع للبدر الطالع)): محمد بن محمد بن يحيى زبارة الحسني اليميني الصنعاني(ت: ١٣٨١هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٢٨-هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل بن محمد أمين ابن مير سليم الباباني البغدادي(ت: ١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١م، وأعدت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

هوامش البحث

- (١) جمالية اللون في الشعر الأندلسي-ابن سهل الأندلسي أنموذجاً-، وسيلة رحالي، ٧.
- (٢) اللون ودلالته في الشعر، ظاهر الزواهرة، ١٥.
- (٣) اللغة واللون، أحمد مختار عمر، ٣٥.
- (٤) اللون ودلالته في الشعر، ظاهر الزواهرة، ١٨.
- (٥) المهارات اللغوية، زين الخويسكي، ص أ-ن.
- (٦) المهارات اللغوية، زين الخويسكي، ص أ-م.
- (٧) ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ١٢٠/٢، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ٥٥٩/١.
- (٨) ملحق البدر الطالع، ١٢٠/٢.
- (٩) قال الزركلي في الأعلام أنه في شرح بيتين لابن عربي وأنه مطبوع. الأعلام، ١٢٣/١، ولم نعثر عليه.
- (١٠) إزالة الشبهات: ص ٧٢، نقلاً عن: ديوان البرعي، تحقيق: نواف الجراح، ٥.
- (١١) ينظر: ديوان البرعي بتحقيق الجراح، ٥.
- (١٢) فنون بلاغية، ٩، وانظر قول البغدادي في: هديّة العارفين، ٥٥٩/١.
- (١٣) ينظر: ديوان البرعي، عناية: الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي، ٨.
- (١٤) فنون بلاغية في المدائح النبوية، ٨-٩.
- (١٥) فنون بلاغية في المدائح النبوية، ٩.
- (١٦) الالوان ورمزيتها في الشعر العماني الحديث، حسن العجمي، ١١٠٠.
- (١٧) الرمز والرمزية، محمد فتوح أحمد، ٢.
- (١٨) اللغة واللون، أحمد مختار عمر، ١٨٥-١٨٦.
- (١٩) اللغة واللون، أحمد مختار عمر، ٧.
- (٢٠) علم عناصر اللون، ١٣٧.
- (٢١) اللغة و اللون، أحمد مختار عمر، ١٦٣.
- (٢٢) الديوان: ٤١.
- (٢٣) ينظر: شرح ديوان الحماسة، التبريزي، ٨٠.
- (٢٤) الديوان، ٣٣.
- (٢٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٣/ ١٠٦٧.
- (٢٦) امالي السيد المرتضى، ١٠٥.
- (٢٧) شرح ديوان الحماسة، ٣٣٦.
- (٢٨) الديوان، ١٢٢.
- (٢٩) ينظر: البنى الأسلوبية في النصّ الشعري، ٦٩.

- (٣٠) ينظر: جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، د. محمد عبد المطلب، ١٣٧.
- (٣١) الديوان، ١٥٥.
- (٣٢) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د. يوسف خليف، ١١١.
- (٣٣) الديوان، ٣٧.
- (٣٤) النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن إسماعيل، ٣٠١.
- (٣٥) العين، ١٢٨/٢.
- (٣٦) الديوان، ١٠١.
- (٣٧) مسند الإمام أحمد، ٣٦٧/٢٨، رقم: ١٧١٤٢.
- (٣٨) ينظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، أحمد ياسوف، ٦٠٥.
- (٣٩) الديوان، ١٥٥.
- (٤٠) العين، ١٣٣/٦.
- (٤١) الجيم، ٨٢/١.
- (٤٢) البارع في اللغة، ٦٥٢.
- (٤٣) شرح شعر المتنبي - السفر الأول: ١٦٥/١.
- (٤٤) المحكم والمحيط الأعظم، ٤٤٦/٧.
- (٤٥) رواه مسلم في صحيحه، ١٨٢٠/٤، رقم الحديث: ٢٣٤٠.
- (٤٦) الديوان، ٤١.
- (٤٧) مقاييس اللغة، ٣٨٢/٤.
- (٤٨) شرح نقائض جرير والفرزدق، ٣٦١/١.
- (٤٩) شرح المشكل من شعر المتنبي لابن سيده، ٨٠.
- (٥٠) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣٥٤/٦.
- (٥١) الديوان، ٦١.
- (٥٢) يورة المزمّل: ١٧.
- (٥٣) معترك الأقران في إجاز القرآن، ٤٣٧ - ٤٣٨.
- (٥٤) اللغة واللون، أحمد مختار عمر، ١٨٦.
- (٥٥) اللون ودلالته في الشعر، ظاهر الزواهرة، ٥٥.
- (٥٦) الديوان، ١٥٤.
- (٥٧) العين، ٢٢/٤.
- (٥٨) الديوان، ٦٧.
- (٥٩) فالاستعارة المكنية بهذا المفهوم هي: "أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه، فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه". الكشاف، الزمخشري، ١ / ١١٩.
- (٦٠) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى، ١٧٤.
- (٦١) الديوان، ٢١٨.
- (٦٢) الفروق اللغوية، ٢٩١.
- (٦٣) الديوان، ٢٦.
- (٦٤) ينظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ٣٥٢ / ٢.
- (٦٥) الديوان: ١٨٤.

- (٦٦) معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢ / ١٤٥٥ .
- (٦٧) سورة الإسراء: ١ .
- (٦٨) الديوان، ٢٤ .
- (٦٩) الفروق اللغوية، العسكري، ٢٣٤ .
- (٧٠) الديوان، ١٤٩ .
- (٧١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ١ / ٣١٤ .
- (٧٢) انظر الصفحات: ١٥، ٢٣، ٢٧، ٣٧، ٥٣، ٥٦، ١٣٧، من الديوان .
- (٧٣) الديوان، ٧٨ .
- (٧٤) فنون بلاغية في المدائح النبوية، حيدر حسين، ١٦٣ .
- (٧٥) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، فضل حسن، ٢ / ٣٧٨، وينظر: الفوائد المشوق، ابن القيم، ١٤٥ .
- (٧٦) الطباقي في شعر حكام الأندلس بين الفن والسياسة (بحث منشور)، د. زينة عبد الغني و د. هادي طالب محسن العجيلي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد ١٨، ٢٠١٤م : ٢٢٦ .
- (٧٧) الديوان، ٦١ .
- (٧٨) الديوان، ١٢٢ .
- (٧٩) الديوان، ١٣٥ .
- (٨٠) لسان العرب، ٤ / ٣٧٦ .
- (٨١) الديوان: ٤٢ .
- (٨٢) البلاغة العربية، ٢ / ٣٧٣ .
- (٨٣) ينظر: شَرْحُ شِعْرِ الْمُتَنَبِّي - السفر الثاني للافليبي، ٢ / ١٢٧ .
- (٨٤) انظر الصفحات: ١٧، ٢٠، ٤٣، ١٠٢ من الديوان .
- (٨٥) اللغة واللون، أحمد مختار عمر، ٢١٠ .
- (٨٦) ينظر: جمالية اللون في الشعر الأندلسي - ابن سهل الأندلسي أنموذجاً -، وسيلة رحالي، ٦٠ .
- (٨٧) ينظر: الألوان في القرآن الكريم، ١٢٣ .
- (٨٨) الديوان، ١٠٤ .
- (٨٩) الديوان، ٢٠ .
- (٩٠) ينظر: دراسات منهجية في علم البديع، ٢٢٠ .
- (٩١) ينظر: أسرار البلاغة، الجرجاني، ١٨ .
- (٩٢) ينظر: سيمياء الشعر القديم، محمد مفتاح، ٣٥ .
- (٩٣) الديوان، ٤٧ .
- (٩٤) الديوان، ١٣٤ .
- (٩٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، ١ / ٦٥٦ .
- (٩٦) الديوان، ١٠١ .
- (٩٧) الديوان، ١٩٧ .
- (٩٨) الديوان، ١٨ .
- (٩٩) انظر الصفحات: ١٦، ٣٤، ٤٣، ٥١، ٥٥، ٦٨، ٩٣، ٩٤، ١٥٢، ١٥٦، ١٦٠، ١٦١ .
- (١٠٠) اللغة واللون، أحمد مختار عمر، ٢١١ .

- (١٠١) اللغة واللون، أحمد مختار عمر ، ٢٠١ .
- (١٠٢) الديوان، ٢١٨ .
- (١٠٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٨١٧/٢-٨١٨ .
- (١٠٤) الديوان، ٣٢ .
- (١٠٥) الديوان، ٣٦ .
- (١٠٦) جمهرة اللغة، ابن دريد، ١ / ٢٩١ .
- (١٠٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ١٢١/١ .
- (١٠٨) اللغة واللون، ٤٤ .
- (١٠٩) الديوان، ١٧٨ .
- (١١٠) ينظر: الاغاني، ١١ / ٣٧٧ .
- (١١١) عبدالوهاب شكري، الإضاءة المسرحية، ٧٦ .
- (١١٢) الديوان، ٥٥ .
- (١١٣) المنتخب من غريب كلام العرب، ٧٧٧ .
- (١١٤) البيان والتبيين، الجاحظ، ١ / ١٩٢ .
- (١١٥) ينظر: امالي السيد المرتضى، ٨١٣ .
- (١١٦) دلالات الألوان في شعر نزار قباني، أحمد عبد الله، ٥١ .
- (١١٧) الديوان، ٣٦ .
- (١١٨) المخصص، ابن سيده، ١ / ٧٣ .